المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات (*)

(١) سبب اختيار الموضوع

ان الموضوع الذي سأحاضركم عنه قد يبدو مبهماً وغريباً وقد يبدو بديهياً لكنه غير محدود التعريف ومع هذا فهو من المباحث النفسية الاجتماعية التي يجب الاكثار منها والبحث عنها ليستقر مدلولها في قلوبنا وتستحوذ أهدافها على مشاعرنا فنعمل اعمالنا ونحن ندري ما نريد ونعرف الدوافع التي تدفعنا ونحن نعلم لماذا نسير وهذا منتهى العلم الذي يتحتم عليك وعلي وعلى كل ساع للحياة وخدمة الأمة ان يحيط به ويلم بعناصره وقد اخترت البحث عن المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات لاعتقادي ان قيمة الأفراد والأمم والجماعات هي بمبادئهم وان مقياس تلك القيمة هو بالمقدار الذي تفعله تلك المبادئ في حياتهم الخاصة والعامة وفي تفكيرهم وجهدهم العلي .

وقبل إقامة الدليل أرى من الواجب تحديد معنى المبدأ بحيث لا يبقى مجال للاختلاف في مفهوم هذه الكلمة الحديثة ليصح الدخول الى صميم الموضوع والانتهاء منه الى نتيجة هي الغاية من المحاضرة .

(٢) ما هو المبدأ

اعتاد المعلمون ان يبحثوا عن مبادئ علم الحساب ويعنون بذلك البحث عن الأعمال الأربعة لأنها الأساس او الطريق المؤدي الى معرفة بقية ما يحويه علم الحساب او الأوليات من علم الحساب التي لا بدّ منها .

ويذكرون أيضاً مبادئ علم الجغرافيا ويعنون بها البحث عن كروية الأرض وعن تقسيمها وعن تقسيم الزمن وعن تقسيم الأرض الى بحار ويابسة وعن تقسيم اليابسة الى قارات وسهول وجبال وأودية وأنهر وبحيرات الخ وعن تقسيم البحار الى اوقيانوسات وجزر وخلجان ومداخل وغير ذلك وتحديد معنى كل منها ليسهل

(*) محاضرة ألقاها معالي وزير العدلية الدكتور عبد الرحمن الكيالي في المجمع العلمي يوم الجمعة في ١٨ شباط سنة ١٩٤٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على طلاب هذا العلم معرفة ما يحويه من معارف أُخرى . ويقول الناس : (فلان من اصحاب المباديء) اي من اصحاب الأخلاق الثابتة . واعتدنا ان يخاطب بعضنا بعضاً قائلين و (انا من مبدئي كذا وكذا) ونريد من عقيدتي كذا وكذا . وان نسأل مخاطبنا (ما هو مبدؤك في الحياة) اي ما هي غايتك منها . ونقرأ في الكتب (ومن المباديء الكونية [النظام] فلولا النظام لاختلت الأكوان) وهذا يعني انه من القوانين الكونية الثابتة . ونقول (ان المبدأ الاجتماعي الخالد ان تعيش وتترك لغيرك مجالاً ان يعيش) . ومن المباديء الطبيعية (ان لا فراغ في الوجود) . ومما اتفقت عليه الأديان واصبح مبدأ عاماً لكافتها في حسن التعامل وضمانة العدل قول التوراة (كيلوا للناس بالصاع الذي يكال لكم) . وقول الانجيل (عاملوا الناس كما تحبون ان يعاملوكم) وقول الحديث الشريف (لا يكمل ايمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) وهذا يشير الى دستور التعامل بين العباد وفيه منتهى الانصاف والعدل وغاية ما تصبو اليه الانسانية .

وهنالك مباديء لا تعد ولا تحصى تتعلق بالأخلاق والسياسة والدين والاجتماع والعلوم والتجارة وبقية الأمور أقرها العرف وجرى عليها الاصطلاح وحققها العالم واتخذها الناس مقياساً لأعمالهم وحقائق بديهية في أقوالهم ومحاكماتهم وطرقاً قويمة لعلاقاتهم وتجاربهم .

(٣) فما هو المقصود من المبدأ

ان المفهوم من قولنا (مبدأ) يختلف باختلاف المناسبة فيكون معناه تارة الاساس وتارة الطريق وتارة العقيدة وأُخرى القانون او العادة لأن الكلمة لها مدلولات شتى في كل اللغات ومعاني متعددة لدى مختلف الطبقات . ففي العربية تشتق الكلمة من البدء ومعناه الأولية او المباشرة ثم صار معناها (الاصل) فمبدأ القول أوله ومبدأ الشيء أصله كقولنا (مبدأ الوجود) اي اوله ومبدأ العادة اي اصلها ثم تطورت الكلمة فغدت تفيد الطريق المعين او الأسلوب المتبع او الاساس المتخذ ففلان له (مبدأ في الأكل) اي له (عادة) وفلان من مبدأه (سوء الظن) في الناس أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(من خطته) وزيد (ذو مبدأ مستقيم) اي لا يكذب ولا يتحول عما يقول او يفعل (ومبدأي يأمرني ان أفعل كذا وكذا) اي واجبي . ومبدأ التجارة (ان لا تبيع في الصعود ولا تشتري في النزول) اي الاصل ان تتريث حتى يستقر السوق على حال . ومن المبادئ الديموقراطية (ان يكون الشعب مصدر السلطات) اي من شروطها . وقولنا هذا مخالف للمبادئ الدستورية أي للأسس التي بني عليها الدستور كالحرية التي يجب ان لا يحرم منها وطني ضمن حدود القانون و كصيانة النفس وصيانة الأموال والحقوق فهي من الأسس التي اعتبرها الدستور واعتبرها القانون واعتبرتها الدولة من الحقوق العامة لأنها مفيدة وضرورية وضامنة للمصلحة الاجتماعية وبدونها لا يقوم استقلال ولا يدوم سلطان . ومن مبادئ التوكل ان (الأسعار والاعمار بيد الله) اي من شروطه . والذي يتحصل من مجموع ما تقدم من الافادات والاصطلاحات (ان المبدأ هو ما يقرره الفرد او الجماعة او يتواضع الناس عليه بسائق الغريزة او بسائق الفكر للحصول على غاية معينة يرجى منها الفائدة ودوام الحال بما فيه نجاح العمل واطمئنان النفس) . وقد يكون المبدأ خيالياً فلا ترجى منه نتيجة معقولة وقد يكون منطقياً ولا يصح عملياً . وقد يكون معقولاً وواقعياً فيصح من كل الوجوه .

قلت ان المبدأ قد يكون خيالياً أو وهمياً ولعلكم تعجبون من ذلك ولكن عجبكم يزول متى علمتم ان اصحاب الدوافع المرضية او اصحاب الشذوذات المرضية يملكون مبادئ تسير حياتهم وهي زعمية أو خيالية وليس لها نتيجة منطقية ولا فائدة اجتماعية . خذوا مبدأ المعري في عدم الزواج وفي ترك اللحوم أليس هذا غير منطقي ومخالفاً لسنن الحياة وسنن الطبيعة خذوا مبدأ التقشف واهمال الجسم وترك الحياة أليس هذا شذوذاً ووهماً بأنه يرضي الإله . وهل له نتيجة انسانية او نتيجة منطقية سوى التعطيل والتعطيل ليس من سنن الطبيعة ولا من سنن الحياة

لا شك ان لكل من تارك اللحم تقشفاً ورحمة بالحيوان ، ولتارك الزواج رهبنة فيه او خوفاً من الجناية على الأبناء ، مبدأ يعللان به عملهما الذي هو وقر في النفس سببه الوهم والاعتقاد الفاسد الناتج عن فرضيات توحي بهما الشذوذات المرضية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

او الدوافع النفسية المكبوتة (على رأي رجال علم النفس وعلم الأمراض العقلية) وليس من المبادئ التي يقرها العقل او يسلم بها العلم ولذا قلت ان المبدأ قد يكون وهميًا او خياليًا وأتيت بهذا المثال الذي له أمثلة أخرى تعرفونها متى رجعتم لدراسة المبادئ التي يدعيها الناس .

(٤) تقسيم المبادئ

ينقسم المبدأ الى قسمين الأول (خاص) وهو ما يختص به الفرد لنفسه ويختطه لذاته بعد درس او تلقين او تجربة . والثاني (عام) وهو ما يختص به المجموع او الجماعات بعد درس او تلقين او تجربة كمبدأ الدين ، ومبدأ الحكم ، ومبدأ الكساء ، ومبدأ القانون ، ومبدأ القضاء ، ومبدأ المعاشرة ، وغير ذلك مما له علاقة مباشرة بالأمة او المجموع من الناس .

(٥) خواص المبادئ والمؤثرات لها

والمبادئ سواء أكانت فردية أي خاصة ، او عمومية اي شاملة ، ليست وراثية ولا ولادية بل هي نتيجة التجارب والاكتساب ولذا كان لكل فرد أو لكل جماعة او لكل أمة مبادئ يتمايزون بها ويعملون بها وحيث ان المبادئ من طبيعة الانسان فهي تتبدل وتتغير وتتطور كلما ارتقى الفكر وزادت الاختبارات والتجارب واتسع العلم وارتقت المدنية التي هي الوسيلة لتهذيب طبيعة الانسان وتعديل سلوكه .

ولعلاقتها بحياة الانسان وضروراته الاجتماعية تكون في نشأتها لا شعورية ثم تغدو عاطفية ثم تتطور فتكون شعورية تحت وعي الذهن وسطوة الإرادة .

ومن المشاهد ان مفعول المبادئ قد يكون آنيًا وقد لا يظهر الا بعد حين وقد نلمس نتائجها بسهولة لأنها تسيطر علينا وقد لا نشعر بتأثيرها بسهولة لأنها لا تسيطر علينا ولكنها في كل حال لها مفعولها المستمر وقوتها الدائمة متى كانت صالحة لتوجيه الأعمال ومحكومة لضوابط العقل .

والذي يغلب على الأفراد والجماعات ان مبادءهم تتجلى عليها اللاشعورية ولهذا تتصف بالبطء والتقليد والمحاكاة وسرعة التقلب والعكس بالعكس متى تسلطت عليها قوى الذهن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦) تأثير المبادئ في الفرد والجماعة

وحيث علمنا بأن المبادئ تلازم الانسان وهو حي فلا بد ان يشملها قانون الحياة فتتبع المؤثرات المحيطة اي مؤثرات البيئة وتأثيرات الزمن والتربية والعلم فتتطور طرداً اذا كانت صالحة وعكساً اذا لم تكن صالحة والصالح ما صحت أساساته وضمن العمل نجاحه وكان في حيز الإمكان والواقع والعقل وملائمة الزمن .

ان دراسات تأثيرات المبادئ تعني في الحقيقة دراسة الفكر البشري وأعماله في الفرد والجماعة وفي عبارة أخرى درس المدنية والعلم والعمران .

ومما لايحتاج الى دليل قولنا ان الحروب والمنازعات والثورات والانقلابات والأنظمة والشرائع والآداب والعادات حتى الفنون والأخلاق والمعاملات هي محصول المبادئ ونتيجة فعلها المباشر أو غير المباشر . والحقيقة ان فعل المبادئ لا يظهر إلا متى اختمرت عناصرها وخرجت صورها من حيز التصور الى حيز الفعل ونزلت من أعالي الواعية الى مقر الباطنة حيث تنمو وتتكون منها دوافع الحركة والعاطفة وعندها كما يقول غوستاف لوبون (تصير المبادئ جزءاً من الخلق ويكون لها التأثير في الحياة لأن خلق الانسان يحتاج في تركيبه الى تراكم طبقات من الأفكار اللاشعورية) والبرهان انها اذا استحوذت على ضمير الأكثرية وتملكت عواطفهم ومشاعرهم وأفكارهم تسوقهم الى العمل دون وعي لكن بلذة ونعيم .

أضع امامكم هذه الحقيقة وأسألكم التمعن فيها . انها المفتاح لفهم الحادثات التي مرَّ ذكرها والسر لاستشهاد المتدينين في سبيل عقائدهم الدينية والعلة لافراط المتهوسين في تنفيذ دوافعهم ورغائبهم والسبب لانكباب المفكرين والعلماء على مباحثهم ومكتشفاتهم والداعية للفنانين على الجهد والتحمل لخلق بدائعهم ونفائس مصنوعاتهم والباعث لشجاعة ووطنية المدافعين عن أوطانهم وحريتهم والدافع للغوغاء على تخريباتهم ومظاهراتهم دون وعي او حساب للعواقب .

(٧) تطور المبادئ وكيفية حصولها

ان عوامل التطور لا تخلو من أحد الاسباب الآتية (الحاجة ، المحيط ، رقي الفكر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزمن ، الاستعداد) وللايضاح أسرد عليكم بعض الأمثلة . خذوا مبدأ الطعام . انه كان ويجب ان يبقى لتأمين ما يحتاجه الجسم من مواد تحفظ نموه وتعطيه الوقود اللازم لاستهلاك الحرارة الضائعة في كل حركة تجريها عضلاته وأعضاؤه وذلك بما يتناوله الانسان من لحوم الحيوان ومن خضروات الطبيعة وفواكهها .

ولكن هل يبقى مبدأ الطعام على ما ذكر وهل اختصر على ما تتطلبه الحاجة من طبخ وتهيئة وما يتطلبه المحيط من اعداد للأواني والمائدة وما تتطلبه العادة من أدوات وغرف وزخرفة وزينة وما يقضي به رقي الفكر والحضارة من حديث ومجاملة وصحبة ؟

كلا . ففعل التغذيـة وقل الطعام تطور مبدؤه وأصبح يحمل عناصر أخرى ذوقية واجتماعية وعلمية لا بد منها بسبب تأثير العوامل المار ذكرها . وخذوا مبدأ الكساء فقد كان يرمي للوقاية ثم دخلت فيه دواعي الزينة ثم دواعي الترف وهو اليوم على ما ترونه يتطور بحسب تطور المدنية والمحيط والحاجة وخذوا مثالاً ثالثاً (الحب) ان الحب مظهر من مظاهر العطفية اقتضته الحياة لتأمين النسل بايجادها الميل عند البلوغ نحو الجنس الآخر . انه طبيعي في كل انسان وعدم وجوده او التحسس به دليل الانحراف عن الحالة السليمة . تصوروا كيف كان عند الانسان الأول ولا يزال عند الذين يشابهونه وكيف هو الآن عند من يتقيد بحدود الآداب والقانون ويعلم من أهدافه ما يوحيه العلم والدين والتهذيب فالمبدأ في الحالة الأولى كان قضاء شهوة واستمتاع رغبة شأن البهائم ثم تحول الى لهو وتلذذ ثم تحول الى الفة وتبادل عاطفة لتأمين غاية وهو ما ترمي اليه الحالة الثانية ونصفه اليوم بارتقاء الاعتبارات الاجتماعية والمدارك البشرية بأنه غاية سامية للترابط ودوام النسل وبقاء الألفة والاجتماع . فالحب في نظر الحياة ضروري ، لأن الغريزة الجنسية تبعثه في العواطف ، والحب في نظر المدنية ضروري ، لأنه مدار الالفة والارتباط . والحب في نظر العلم والفن ضروري لانه مبعث الخيال والشعر والالهام والابداع وفي نظر « فرويد » سبب الاجتماع والأدب والفنون والقوانين والأديان يقول الصوفي العظيم ابن العربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه داني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأصبح قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
ومعبد أوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

واليكم المثال الرابع وهو المهم خذوا مبدأ الدين ما ذا كان وماذا آل اليه ٠ قلت الدين بعد الحب لأنه نشأ ونما بنشأته ونموه ٠ ما هو المبدأ الأول له ٠ كان مظهراً لغريزة الاستطلاع والشك والحيرة يدعو اليه الخوف والهرب من قوى الطبيعة ثم تطور فصار مظهراً للرجاء والأمل والاستسلام لها ثم تطور الى الخضوع والاحتفاء بقوى الحيوان والانسان أمل دفع الضرر وجلب النفع ثم تقدم فغدى وسيلة لاستمتاع القوى بما لا يستطيع الضعيف الوصول اليه فاكتنفته الخرافات والأوهام والشعوذات وسترته الرموز والطقوس ولما استنار الفكر الانساني بتقدم الحضارة اتجه للتحري عن مصادر القوة وخواص الحياة والمادة فتحول من الخوف والمباديء اللاشعورية وبدأ بعبادة القوة والفضائل المتجلية في شخصية الأجداد والآباء والابطال والملوك والرؤساء وما يمثلها من الاصنام والاشخاص التي تعبر عن الفكرة أو الرغبة القائمة في نفس المؤمنين وفي التطور السادس اتجه الى التحري عن كيفية الاتصال بالقوى المطلقة فلم يجد الفكر الانساني ما يرضي رغباته ولا شعوريته غير القول بالألوهية التي عددها ثم ثناها ثم ثلثها ثم وحدها وجعلها مجردة ووصفها بما فرضه فيها (وهي معكس مما فيه) من صفات وكمالات وراح يتحرى معرفة الحقيقة فتسائل عن مكانها وماهيتها وأعمالها وعلاقاتها ومصدرها ونهايتها ومضى عليه اكثر من عشرة آلاف سنة وهو مجد في بحثه وفي استقصاآته واستنتاجاته ولما يصل للمعرفة التي هي الحقيقة بعينها ولن يصل اليها وجل ما سينتهي اليه الاقرار بالقول (بطل الإله ان يكون إلهاً اذا قام الدليل المادي على وجوده) لان العقل الذي لم نستطع إدراك ماهيته يعجز عن ادراك ماهية الموجود الأول الذي كل ما نستطيع ان نعلم عنه بمدراكنا وحواسنا هو مظاهره الوجودية في نظام الكائنات وجمال المخلوقات وابداع المصورات فللوجود موجد لان هنالك نظاماً وجمالاً وابداعاً نلمس أثرها ونشعر بوجودها في كل الأشياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعليه (فالدين) ان ندرك الصلة بين الانسان وخالقه ونفهم المظاهر الإلهية بأكملها واعمها وما سواه فأعمال ووسائل وأمور تتعلق بدنيا يحبها الانسان ويريدها لنفسه ويختلف عليها وعلى كيفياتها ومراميها لجهله . وبعد أرأيتم كيفية تطور المباديء وأثرها واسبابها .

واليكم المثال الأخير وهو مبدأ العلم . ما هو العلم ؟ العلم هو تصنيف المعرفة وما هي المعرفة ؟ هي حصول صورة الشيء في الذهن اي حقيقتها . فالعلم اذاً تصنيف الحقائق التي يتصورها الفكر على ما هي عليه ولكن ما نسميه العلم اي مجموعة الحقائق كانت تحيطه الأوهام والخرافات وكانت الحقائق مبعثرة دون تمحيص وتمييز . ولما بدأ البشر بتدوين تجاربهم ومعارفهم خطى العلم خطوة نحو التحرر والتجرد . ثم زادت المعارف وتطورت المدنية وارتقى الفكر باحثاً وناقداً فكانت الفلسفة وكان الجدل ثم أزيلت ستائر الوهم والخرافات عن معالم العلم فظهرت الحقائق مجردة عارية ونفذ الفكر الانساني الى مجاهل الحادثات والعلل والأسباب والنتائج . ولما جاء القرن التاسع عشر وتحكم النقد وتحكمت التجربة فيما وصل الى الهيئة الاجتماعية من معارف الأقدمين وآثارهم وما نتجه العقل الحاضر من اكتشافات بعد ما تحرر وانطلق بهيم في جميع ميادين البحث ، ظهرت الحقائق وزالت معظم الأوهام والنظريات وتأسس مبدأ العلم (على الاستقراء والمشاهد والتجربة والاستنتاج والقياس الصحيح) وكان أشهر من خدموا مبدأ العلم وأبرزوه مجرداً فلاسفة اليونان الأقدمين وعلماؤهم واطباؤهم امثال ابيقراط وفيثاغوروس وغالينوس وسقراط وافلاطون ومن عاصرهم ثم علماء العرب وفلاسفتهم وأطباؤهم أمثال الرازي وابن الرشد وابن سينا والفارابي وابن جابر وابن البيطار والبيروني وغيرهم ثم جاء من بعدهم علماء الغرب امثال ده كارت وكانت وسبنسر وآدم سمث وغاليلي ولابلاك ونيوتون وداروين وماكسويل وبختنر وفارادي وواغنر وكليفن وطومسون ووات واديسون وبيكون ونيتام وتهلد وروسكين ورنان وروسو وولتر وسبينوزا ونخت وكارليل وباستور وژون لوك ومونتيسكيوا وهيكل وفرويد وانشتين وسواهم من الفلاسفة والعلماء والمخترعين والمكتشفين والأدباء فاتجه مبدأ العلم الى بحث الحقيقة مجردة ومعرفة الطبيعة وما فيها من سنن وقوانين فكانت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المدنية وكانت النهضة الحديثة . وقبلاً سخر الناس من نظريات (دارون) في العلم الطبيعي وسخروا من كولومبوس ومن براهينه وضحكوا من (هارفه) (وژنهر) كما ضحكوا من (افلاطون وسقراط) وكما اضطهدو الزمخشري والسهروردي وابن تيمية ولكن المبادئ العلمية لم تبال بسخريتهم وضحكهم واضطادهم فسار العلم في طريق النضوج وتحقق مبدأه الأعلى في التحري عن الحقيقة والتعبير عن الحق والحقيقة وانتهى العلم الى ما نحن عليه .

أما تأثيرات هذه الأطوار وما انتهت اليه فاليكم بعضها : ١ — انتقال السلطات من أيدي الملوك والرؤساء الى أيدي الشعب ٢ — حرية الفكر والعمل والضمير ضمن حدود المبادئ والقوانين ٣ — انتظام الوحدات الاجتماعية وترابطها ٤ — انقطاع النزاع الديني والاضطهاد بسبب العقيدة والمبدأ ٥ — نزوح العادات والآداب والاعتبارات والتقاليد نحو الديموقراطية والأهداف السامية للاجتماعية البشرية ٦ — انتشار الاشتراكية ٧ — زوال الفوارق الطبقية ٨ — زيوع العلم والتربية بين الأفراد ٩ — استقرار المبادئ العلمية والوطنية والقومية ١٠ — تقوي المبادئ التعاونية والغيرية الدولية ١١ — توسع الروابط الاقتصادية بين الأمم ١٢ — اتجاه المدنية للاجتماعية السياسية ١٣ — رفاهية الانسان ضمن الرفاهية العامة . هذا ما يمكن تعداده باختصار . وحيث وصلنا الى هذا الحد من التعريف والايضاح فاني سوف انتهي بكم الى النتيجة ولا أزيدكم شواهد ولا تفصيلاً ولا تطويلاً فقد اردت ايقاظ الفكر والانتباه ولكم من صحافتكم وعلمكم وتجاربكم مايضيء لكم سبل البحث والتوسع .

(٨) النتيجة : الوجدان الفردي والوجدان الاجتماعي

وبعد ما هي النتيجة من وجود المبادئ وتطورها .

ان المبادئ تنتهي في نشوء المثل العليا في الأفراد وتكوين الوجدان الاجتماعي في الامم والجماعات .

ما هو الوجدان ؟ هل هو حقيقة . أم تسمية لمظهر غير محدود .

ان الوجدان ليس عضواً آلياً ولا مركزاً عصبياً ولا قوة مادية بل مظهر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الضابط النفساني القائم في العقل الواعي وفي ذاتية الفرد والمجتمع الانساني . نسميه الضمير ونسميه النفس الذكية ونسميه الذات العلوية وهي اسماء اختلفت في اللفظ واتحدت بالمعنى والمقصود منه ما يأمر باتباع المباديء وما نشأ عنها من مثل عليا فينظمها وينظم الدوافع الباطنية ويضبط عملها ويعدلها فان سلم العقل من شهوات الدوافع وانفعالاتها ارشد الذات الى الحق والخير وإدراك الصواب مستمداً قوته من التربية الصحيحة والتعاليم الصالحة والمباديء المفيدة وينتفي وجوده او يعتل ويضعف فعله عند ماتصاب الذات بسوء الوراثة والتربية وبسوء التغذية والنمو وبالأحداث المهيجة وبالمخدرات والمكيفيات وبالأمراض الانتانية والتناسلية وغير ذلك من العوامل التي تتولد وتقوى معها الدوافع المرضية وتساعد الاستحواذ على إخضاع الإرادة والعواطف وتسخير الحي الى غير ما يأمر به الوجدان وترمي اليه المباديء والمثل العليا . هذا هو التعليل العلمي لما يقع في عالم النفس ونحس به ونشعر بفعله ونلمس تأثيره فينا ولهذا يحق لنا الإيمان بوجوده ويحق لي ان أطلب منكم ان تراجعو أنفسكم وتفحصوا ذاتيتكم وتحاسبوا وجدانكم ومثلكم ممن يحملون المثل العليا ويتبعون المباديء المثلى ولهم وجدان يدركون لذة الحياة وآلامها فمن لا يعرف نفسه لا يعرف غيره ومن لا يفقه غيره لا يحب العالم ومن لا يحب العالم يكره التعاون مع الناس . فهل اتصفنا بالاجتماعية وادعينا الانسانية وقبلنا الحياة المدنية لنعذب ضميرنا ونجهل أنفسنا وغيرنا .

لاحظوا أيها السادة ان النفس متى خلت من الوجدان استحوذت عليها الأنانية والمطامع وهي علة مانقاسيه الانسانية وما يقاسيه العالم . وهل هذه الحروب وهذه المخاصمات سواء بين الأفراد او بين الأمم الا نتيجة ضعف الوجدان وفقد الضابط النفساني .

اجل . ان المطامع البشرية ليس لها حدود وهي شر ما تبتلي بها الأمم لأنها سبب العراك والتنازع فهل نستطيع درأ مضارها وتخفيف ويلاتها بدون الوجدان الاجتماعي . وهل من قوة تستطيع مقاومة الاستبداد بغير انتصار الديموقراطية . وهل من معالجة نستطيع بها إزالة الرأسمالية بغير التعاونية العالمية وكيف نتخلص من الانعزالية والفردية بغير الترابط الدولي والتعاون الاقتصادي وكل ذلك من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عمل الوجدان الاجتماعي الذي هو ظهير الغيرية ومظهر من وعي البشرية ٠

لذلك وحيث انكم على اختلاف ثقافتكم واختلاف مهنكم ووجهات نظركم في الحياة مدعوون لاختيار المثل العليا واختيار المبادئ لتساهموا في بناء الإنسانية وفي تثبيت السيادة والاستقلال القائم على حرية الفكر والضمير وحماية الحق والحياة فان مساهمتكم في تأييد مبدأ الغيرية يعد نصرة للتطورات التي ننتظرها من العالم المقبل ٠

واذا سألتموني ما هي الغيرية أجيبتكم بدستور واحد (ان تحب لغيرك ما تحبه لنفسك وان تعامل أخاك كما تحب ان يعاملك ، وان تعيش وتترك غيرك ان يعيش ، وان تحسن للعالم كما أحسن العالم اليك) فهل تجدون في تعاليم الأنبياء وتعاليم المصلحين وفي تصريحات دعاة الحرية ونصرة الأمم الضعيفة والقائلين بمقاومة الاستبداد والتحكم في الشعوب مبدءاً اسمى وأصدق مما قلت ٠ ولما كان القضاء نتيجة للغيرية وكان من مبدأه مقاومة الأنانية فانه يعمل دائماً لنصرة الحق وإحقاق العدل وبيان الحقيقة واقامة الحدود ومنع التعدي فان قصر فيما اليه وضع انتهى الى نصرة الأنانيه التي تدعو اليها الغرائز ولا يدعو اليهـا الوجدان العاقل ٠ ولكن من يسمح للقضاء ان يخرج عن مبدئه ٠

ان اعتناق المبدأ والدعوة له يجب ان يقترنا بالتضحية والاخلاص قولاً وفعلا ومتى كان ذلك استدام تأثيرهما في النفس وأصبح وجودهما جزءاً من عناصرها وقوة لضبطهـا وتنظيمها وللبرهان تصوروا ان خمسة عشر الف من الاسبارطابين غلبوا مائة وخمسين الف من الفرس على رأسهم « دارا » لأن الأولين أخلصوا لمباديهم وضحوا في سبيل وطنهم فأنقذوه وتصوروا ان قرطاجينياً واحداً يقسم اليمين لينتقمن لأبيه فيهاجم روما ويفتحها بجيشه لأنه ثبت على المبدأ وضحى في سبيله وتصوروا يتيماً فقيراً يقرر هداية قومه وانقاذهم من استعباد الفاتحين ودعوتهم للاتحاد والأخوة وللوحدانية المطلقة ونبذ الجاهلية ثم يبين لهم طريق العمل والهداية ويحملهم بعبقريته وبطولته وبلاغته الى الايمان بما دعى ونشر ما بلغ ويصبر على أذاهم ويحتمل جورهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومقاومتهم ويثبت على مبادئه السامية وتعاليمه العالية حتى اهتدوا وآمنوا فتبعوه ونصروه ثم حملوا مشعل هدايته الى العالم ففتحوا الممالك ودوخوا الأمم وهم أقلية في عددها وعدتها لكنهم لتمسكهم بالمثل العليا ولإخلاصهم الى الرسالة التي بشروا بها كانوا أكثر قوة وأمضى عزيمة وهكذا أثبتوا ان المباديء والمثل العليا هي التي تؤسس الممالك وتنمي الحضارات وترتقي بالمدنية .

ومما لا شك فيه ان الانقلاب الذي سيحدث بعد ظفر الحلفاء سيثبت للعالم بأن الوجدان الاجتماعي سينتزع من الأمم المنتصرة المطامع واذا تحقق ما نشرته الدول الديموقراطية في عهدها الأطلانطيكي من المباديء التي ستكون دستوراً لكيفية التعاون وحل المعضلات التي ابتلت بها الشعوب بإقامة الجمعية الأممية وإنشاء دستور ومحكمة لها وجيش ويكون قوة لتنفيذ مقرراتها فانه يكون البرهان على صحة ما وصفناه وتكون الحجة القاطعة لكل شك وريبة قد يخالجان نفوس الجاحدين لقيمة المباديء وتأثيرها ولوجود الوجدان الاجتماعي وحقيقته وختاماً اننا ليوم الحق لمنتظرون ولنصرة حماة الحق لداعون .

عبد الرحمن الكيالي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net